فصحاء الاعراب (١)

العرب اسم لقبائل من بني سام تسكن جزيرة العرب من جميع جهاتها . وتتكلم اللغة العربية على اختلاف لهجاتها . وكلمتا العرب والأعراب تكادان تكونان في الاصل بمعنى واحد . بيد ان البلغاء خصوا كلمة (الأعراب) بالعرب الذين يسكنون البوادي . ولما كان يغلب على سكان البوادي جفاء الاخلاق وغلظ الاكباد وخشونة الطباع أصبح يفهم من كلمة (الاعراب) كل من اتصف بهذه الصفات . واذا قالوا فلان فيه أعرابية ارادوا ان فيه جفاء وخشونة . وقد قال احد شعراء البادية :

(واني على ما كان من عُنجُهِيّتي ولوثة أعرابيتي — لأديب)

يقول ان محيط البادية وخشونة اهلها لم يؤثرا في نفسه . وانه مع هذا بقي رقيق الحاشية مهذب الأخلاق . ومهما قيل في الاعراب سكان البادية من الذم والتحقير وتصغير الشأن فان فيهم صفات جميلة . ومزايا جليلة . يكفينا عن ذكر جميعها ذكر ذرابة ألسنتهم . وصحة سلائقهم . وخلوص كلامهم من اللحن والعجمة حتى أصبحوا بعد الاسلام إماماً يقتدى بهم . وينسج على منوالهم .

على انه ليس كل أعراب البوادى فصحاء فان منهم قبائل جاورت الأعاجم فاستعجمت لغتها وفسدت سليقتها وتشوهت لهجتها : فلم تعد موضعاً للثقة بها في الاحتجاج . ولا التعويل عليها في الاستشهاد .

وكان علماء العربية في القرون الاسلامية الاولى ينتجعون البادية ويخالطون اهلها ليتلقفوا منهم كلمة او شعراً يدونونه ويتخذونه حجة في تفسير آية او حديث .

وأشهر هؤلاء العلماء (ابو زيد الانصاري) و (عمرو بن العلاء) و (الأصمعي) و (الكسائي) : فقد ذكروا أن عمرو بن العلاء ملأت كتبه التي دوّن فيها ما سمعه من العرب بيتاً الى قريب السقف . وأن الكسائي رجع من البادية وقد أنفد خمس عشرة قنينة من الحبر .

---

(١) احدى محاضرات الاستاذ « المغربي » كان القاها في ردهة المجمع العلمي في ٦ تموز سنة ١٩٢٣ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والعلمُ الذي تكفّل ببيان نقل اللغة وطرائق حفظها وتدوينها · وسرد اسماء رواتها · وترتيب طبقات علمائها · وما وضعوا من التصانيف فيها — أصبح اليوم علماً مستقلاً وقد سمّوه (تاريخ آداب اللغة العربية) مجاراةً للافرنج في هذه التسمية ·

ومن أحلى مباحث هذا الفن وأفكهه البحث الذي خصّوه بـ (فصحاء الأعراب) · و يريدون بهم رجالاً من فصحاء عرب البادية سكنوا الامصارَ الاسلامية : كالبصرة والكوفة فخالطوا اهلها وأمدّوا علماءها باخبار قبائلهم وأشعار شعرائهم مما وفر على علماء اللغة عناء الرحلة الى البادية والضرب في الفيافي ·

هؤلاء الفصحاء من أعراب البادية وما أثر عنهم من نوادر الاخبار وغريب اللغة · هم الذين جعلناهم موضوع محاضرتنا هذه · وهم كثيرون : منهم من عُرِفَ اسمه ومنهم من لم يعرف : نذكر منهم على سبيل التمثيل : رؤبة بن العجاج ثم يأتي بعده ابو الدُقيش · ابو مهدية · ابو سوّار · ابو المنتجع · ابو البيداء · ابو ضمضم · ابن كركرة الخ · ومن النساء ام الهيثم · ام البهلول · ام الحُمارس · عشرمة المحاربية · وغيرهن ·

وكان كل من هؤلاء الفصحاء واسع الرواية · غزير المادة · قوي الحفظ · حتى قالوا ان ابا مالك عمرو بن كركرة كان يحفظ اللغة كلها ·

وقال الاصمعي : جاء فتيان الى (ابي ضمضم) بعد صلاة العشاء فقال لهم : ما جاء بكم يا خبثاء ؟ قالوا جئناك نتحدث قال : كذبتم بل قائم كبر الشيخ وبلغت منه السن فعسى ان نأخذ عليه سقطةً او هفوة · اسمعوا : ثم أنشدهم لمئة شاعر كلهم اسم (عمرو) قال الاصمعي فعددت انا وخلفٌ الاحمرُ الشعراء الذين اسمهم (عمرو) فلم نقدر ان نعدّ اكثر من ثلاثين شاعراً ·

وقد اشتغل بعض فصحاء البادية بالعلم والتعليم بعد نزولهم الامصار وصنفوا كتباً في اللغة · وبعضهم كانت تفسد ملكته وتتشوّه عروبته بكثرة مخالطة السوقة والنبط والسوادبين فيدع علماء اللغة الاخذ عنه · وكان بعضهم يشعر من نفسه بالحاجة الى اخذ العربية عن علماء الامصار فيأخذ عنهم : كأبي مسحل الاعرابي الذي قدم من البادية واخذ النحو عن الكسائي ·

وحكى الجاحظ قال : كان غلام من فصحاء الاعراب يطيف بابي الاسود الدؤلي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يتعلم منه النحو فقال له ابو الأسود يوماً : ما فعل ابوك يا غلام ؟ قال اخذته الحمى : ففضخته فضخاً . وطبخته طبخاً . وفتخته فتخاً (قهرته ، ذللته ، فثنه) . فتركته فرخاً . قال ابو الاسود : فما فعلت امرأته التي كانت تشارُّه وتمارُّه وتهارُّه وتضارُّه ؟ قال : طلقها وتزوجت غيره فرضيت وحظيت وخظيت وبظيت . قال ابو الاسود : علمنا رضيت وحظيت وخظيت (اي سمنت) فما معنى بظيت يا ابن اخي ! قال كلمة من العربية لم تبلغك بعد . فقال له : يا ابن اخي : كل كلمة لا يعرفها عمك ابو الأسود استرها كما تستر الهرة فذرها . لكن المعاجم ذكرت ان بظيت اذا ذكرت بعد خظيت كانت للاتباع وأفادت شدة اكتناز اللحم وتراكبه فما يقول ابو الاسود ؟

وقال بعضهم : لا يشترط في صحة الكلمة العربية ان نسمعها من رجلين حرّين عدلين كما في الشهادة . وانما يكفي ان نسمعها من أعرابيّ فصيح : رجل او امرأة . حرّ اوعبد .

ونذكر على سبيل المثال اخذ علماء اللغة عن آحاد من الأعراب والنساء والعبيد : من ذلك ما حكاه ابو زيد في نوادره قال : قلت لأعرابية بالعيون ابنة مئة سنة : مالكِ لا تأتين اهلَ الرُفقة (وكانت تمشي بعيداً عن الرفاق) قالت : اني أخزى ان أمشي في الرفاق » فقولها (اخزى) بمعنى استحي . كلمة استفادها ابو زيد من هذه الاعرابية . وان أعرابيةً أخرى قالت لابنتها « احفظي بيتك ممن لا تنشدين » ومعنى قولها لا تنشدين لا تعرفين . (وفي هاتين الحكايتين دليل على عناية العرب بصيانة المرأة العربية والابتعاد بها عن مواطن الريبة) .

وقال الاصمعي : جاءت جارية من العرب الى قوم منهم فقالت لهم : تقول لكم مولاتي « أعطوني نَفْساً او نَفْسين أمعس به مَنيئتي فاني أفِدة) فقولها اعطوني نفساً الخ (النَفْس) مقدار كف من الدباغ و (المنيئة) الجلد الذي يراد دبغه و (أفدة) مستعجلة لا وقت معي لتحضير دباغ .

وقال ابو حاتم : قلت لأم الهيثم : ما الوغد قالت الضعيف . قلت انكِ قلتِ مرةً الوغد العبدُ . قالت ومن أوغد منه ؟ تعني ان العبد لا يخلو من ضعف فصار الوغد يطلق على كل ضعيف فلم يكن بين كلامها الاول والثاني تناقض .

وسألها ابو حاتم ايضاً : عن نوع من الحَبّ وهو الذي نسميه (يزرقطونا) ما اسمه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالعربية الفصحى؟ قالت : أرني منه حبّات . فأراها إياها . فأفكرت ساعة ثم قالت هذه (البُجْدُق[1]) . ولم يسمع (البُجْدق) من غيرها .

وقال ابو حاتم ايضاً : قلت لأم الهيثم : هل تبدّل العرب من الجيم ياءً في شيءٍ من كلامها ؟ قالت نعم : تسمي الشَجَرة شَيَرة . قال شاعرهم (يخاطب شجرات غير مثمرات ولا مورقات) :

(اذا لم يكن فيكن ظلٌ ولا جنى فأبعدكُنّ الله من شَيَرات)

اصلها شجرات ابدلوا من الجيم ياءً صارت شَيَرات ثم كسروا الشين لئلا تبدل الياء الفاً لانفتاح ما قبلها . وحدثني الامير طاهر الجزائري ان عرب الجوف اليوم (دومة الجندل) يبدلون الجيم ياءً . واخبرني جماعة من اهل نجد ان اهل الكويت كذلك فيسمون جابر يابر ويقول احدهم للآخر ياي منين اي جائي منين .

ورفع رجل صوته بالسوق يسأل عن امرأة ضالّة فسمعه أعرابي فقال له : « لَوَنَّ عليها خماراً أسود) ؟ يريد بقوله (لَوَنَّ) (لعلّ) . فعلماء اللغة سمعوا (لَوَنَّ) بمعنى (لعل) من هذا الأعرابي الواحد فقبلوها ودوّنوها . وتوشك ان تكون (لَوَنَّ) بمعنى (لعل) لغة عامتنا اليوم مذ نقول (لَوَنَّك تزورنا في هذا المساء) و يحتمل ان تكون (لَوَنك) هذه محرّفة عن (لو أنك) وتكون لو للتمني .

وقال ذو الرمة : ما رأيت أفصح من أَمَة بني فلان : قلت لها : كيف مطركم ؟ قالت : (غِثْنا ما شئنا) اي انزل الله علينا من الغيث بقدر ما نشاء . فكلمة غثنا بمعنى أمطرنا منها سمعت .

وليس هذا فقط بل قد يحتجون بما يقول (صبيان الأعراب) ايضاً و يستشهدون بكلامهم : من ذلك ما رواه ابو عبيدة : ان صبيان الأعراب يلعبون بالزحلوقة و ينشدون :

(لمن زحلوقة زُلّ بها العينان تنهل) (ينادي الآخر الأُلّ الاحلّوا الاحلّوا)

فكلمة (أُلّ) بمعنى (أول) لم تسمع الا من أفواه صبيان الأعراب .

---

(١) (بجدق) كذا في القاموس لكن في لسان العرب (بخدق) وفي المزهر (بحدق) وفي أقرب الموارد (بحذف) ؟ ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال الأصمعي : سمعت صبية (يحمي ضريبة) وهو حمى كليب وائل المشهور يتراجزون فصدوني بعلم الله عن حاجتي . ووقفت عليهم انظر اليهم . واكتب ما اسمع منهم . اذ أقبل علي شيخ من الأعراب فقال لي : أتكتب كلام هؤلاء الأقزام الأدناع (يعني الأوباش الأسافل) !!

بقي ان (مجانين الأعراب) هل يصح الاستشاد باقوالهم ؟ قال بعضهم نعم . أما احتج علماء العربية باشعار مجنون ليلى ؟ وانكر الآخرون جواز ذلك . وقالوا ان جنون المجنون غير داخل في هذه القاعدة . قال ابو حاتم : أخبرني (ابو العلاء العثماني) انه سمع (اعرابياً) يرقص ابنه و يغني لها و يقول :

(محكوكة العينين معطاء القفا كأنما قُدَّت على متن الصفا)

(تمشي على متن شراك أعجفا كأنما تنشر فيه مصحفا)

فقلت لابي العلاء : ما معنى قول هذا الرجل المرقص ؟ قال لا أدري قلت ان لنا علماء بالعربية لا يخفى عليهم ذلك . قال فأتهم فأسألهم . قال ابو حاتم : فأتيت ابا عبيدة فسألته عن معنى البيتين قال : ما أطلعني الله على علم الغيب . فلقيت الاصمعي فسألته عنهما . قال احسب ان ناظم البيتين نفسه لا يعرف معناهما . فسألت (اباز يد الانصاري) قال : هذا المرقص ابنه اسمه (المجنون ابن جُندب) . وكان مجنوناً . ولا يعرف كلام المجانين الا مجنون مثلهم . ثم قال لي أسألت عن معنى البيتين احداً ؟ قلت نعم . سألت ابا عبيدة والاصمعي . لكن لم يعرفه احد منهما .

واشترط بعض علماء اللغة في كلام الواحد من الأعراب ان لا يخالفه الجمهور والاّ كانت اللغة الفصحى هي ما عليه الجمهور . ويكون قول الواحد او الاثنين شاذاً لا يقاس عليه . (مثال ذلك) ما قاله الكسائي في فعل (نما الشيء) اذا كثر وزاد . قال هو في كلام العرب (نما الشيء ينمي) بالياء ولم اسمعهم يقولون (نما ينمو) بالواو الا من اخوين من قبيلة بني سُلَيم . وبعد ان سمعت ما قاله الأخوان سألت جماعة من بني سليم هل كانوا يعرفون (نما ينمو) بالواو أجابوا انهم لا يعرفونه . وعلى هذا نكون نحن اليوم في قولنا نما ينمو متكلمين بكلام الاخوين السُلميين لا باللغة الفصحى .

فاذا شاعت اللغتان في كلام العرب على السواء كانتا فصيحتين وصح للمرء ان ينطق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بايتها شاء . مثال ذلك ما روي ان اعرابياً سأل عمر بن الخطاب : ما ترى في رجل تَغَدّى بضبيٍ ؟ فعجب عمرُ من قوله . وقال له (ما عليك لو قلت ضحى بظبي ؟) قال الاعرابي : (يا امير المؤمنين إنها أشكل لِغة) اي اغزل واغنج فكان عجب عمر من قوله « لِغَة » وهي بكسر اللام لغة في المضمومة — اشد . فتركه وشأنه ولم يحجّر عليه واسعاً .

وعلماء اللغة لا يضرهم تمسك كل قبيلة بلغتها وتعصبها لها وانما يهمهم ان يعرفوا لغة كل قبيلة ثم يجمعوا اللغات بعضها الى بعض ويؤلفوا منها جميعها لغةً واحدة هي (لغة العرب) ثم يهيئون لنا ان نتكلم بها كلها على السواء توسعةً ورحمة .

سأل اللحياني أعرابياً : أتقول اسود مثل حنك الغراب او مثل حلك الغراب ؟ قال اقول مثل حنكه . وسأل ابو حاتم ام الهيثم : كيف تقولين : هذا الشيء اشدّ سواداً مما ذا ؟ قالت (من حَلَك الغراب) يعني باللام على عكس الأعرابي الذي سأله اللحياني . قال : أفتقولينها (من حنك الغراب) بالنون قالت لا أقولها ابداً . ولكن علماء اللغة لا يبالون بام الهيثم بل يجوّزون لنا ان نراعي لغتها ولغة غيرها ولو غضبت وصخبت .

وليس الشأن في الكلمتين اذا كانتا عربيتين اصليتين لقبيلتين مختلفتين بل الشأن في الكلمتين تكون احداهما عربية فحة والأخرى أعجمية دخيلة في اللغة العربية : فان علماء اللغة بل القرآن الكريم اباحوا لنا استعمال الدخيل بشروط ليس هنا محل بيانها .

وكان بعض الأعراب الخلّص يستظرف بعض الكلمات الأعجمية و يدخلها في شعره على جهة التملح والتفكه و يدع مرادفاتها من اللغة الفصحى على عكس (ابي مهدية الأعرابي الفصيح الشهير) الذي كان ينقزّ من الكلمات الأعجمية . و يتشاءم بها أشد التشاؤم .

(ابو مهدية) عربيّ فحّ : وكان يسمع اهل الحضر في العراق ينطقون عند الاستفهام بكلمة كردية وهي (شون بوذ) يعنون (كيف هذا ؟) و (شون بوذ) في الفارسية الفصيحة (چه بود) فكان ابو مهدية ينفر من هذه الكلمة و ينهاهم عن استعمالها واستعمال غيرها من الكلمات الأعجمية مثل (زودا) يعني عجّل و (بِستان) يعني خذ وانعكس الامر في الآخر فجعل اصحاب ابي مهدية يلومونه على هجر هذه الكلمات الأعجمية وعدم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

استعمالها . ويقولون له تارةً يا ابا مهدية قل (شون بوذ) وطوراً يقولون له (شنبذ شنبذ) يا ابا مهدية الى ان أضجروه فقال :

(يقولون لي شنبذ ولست مشنبذاً طَوَالَ اللَيالي ما اقام ثبير)
(ولا قائلاً «زودا» ليعجل صاحبي و « بِستان » في قولي عليَّ كبير)
(ولا تاركاً لحني لاتبع لحنهم ولو دارَ صرْف الدهر حيث يدور)

و (ابو مهدية) هذا هو صاحب القصة المشهورة مع اليهود : ذلك انه لما شاخ وأسنّ جعلوه عاملاً في (اليمامة) ولما وصل اليها رأى فيها قوماً من اليهود تمكنوا منها بالثروة والغنى والنفوذ . فلما بلغ ابا مهدية خبرهم ونفوذ كلمتهم استدعاهم اليه فقال لهم : ما قولكم في السيد المسيح ؟ قالوا قتلناه وصلبناه . قال : هل غَرِمتم ديته ؟ قالوا : لا . قال إذن والله لا تبرحون مكانكم حتى تَغرَموا ديته . وهكذا نال مأربه منهم وأنزلهم على حكمه . لا جرم ان ابا مهدية هو الذي — لو كان حيّاً اليوم — لعرف كيف يتلافى المشكلة الصهيونية بالوسائل المنطقية التي لا تقبل النقض .

بفضل علماء اللغة وما كابدوه من اللأواء في معاشرة الاعراب الفصحاء حتى الصبيان منهم والعبيد والاماء — ضُبطت اللغة وأحصيت كلماتها . ووضعت أُسُسها . ورفعت قواعدها .

وأقدم من انتبه الى وجوب السعي في ضبط اللغة هو المؤدّب الاول (ابو الاسود الدؤلي) المتوفى سنة (٦٩هـ) فقد كانت تجتمع الناس حواليه فيعلمهم النحو تعليما .

ولعل الصحيح ان اول تأليف او اول اثر علمي ظهر في الاسلام هو صحيفة ابوالاسود المعروفة عند النحاة (بتعليقة ابي الاسود) . وهي التي ضمنها القواعد الاولى في علم النحو وتقسيم الكلمة الى (اسم وفعل وحرف) .

قال ابن النديم صاحب الفهرست : رأيت في مكتبة عند بعضهم قمطراً كبيراً . فيه نحو (٣٠٠) رطل من جلود وقراطيس مصرية وورق صيني وخراساني وتهامي . وفيها خطوط بعض الصحابة . قال وبينها اربعة اوراق احسبها من ورق الصين . وعليها عنوان هكذا : هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من ابي الاسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يَعْمَر اه . ويحيى بن يعمر هذا من أشهر اصحاب ابي الاسود .

هكذا ابتدأ التأليف في الاسلام في القرن الاول : صحيفة صغيرة كتبها ابوالاسود

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تتضمن بضع مسائل في علم العربية . ثم لم ينصرم القرن السادس للهجرة حتى بلغ امر العناية بالتأليف والعكوف على العلم ان الملك عيسى بن الملك العادل (الذي نحن الآن بقرب ضريحه) امر فقهاء زمانه ان يجرّدوا له مذهب ابي حنيفة النعمان من مذهب صاحبيه (ابي يوسف ومحمد) فجرّدوه له في عشر مجلدات وسموه (التذكرة) فكان الملك عيسى يديم قراءته حتى حفظه عن ظهر قلب وكتب على كل جلد منه (حفظه عيسى) (حفظه عيسى).

والزمان الذي توفرت فيه العلماء على ضبط اللغة وتدوينها واخذها عن فصحاء الأعراب — هو القرن الثاني والثالث والرابع للهجرة . وأشهر علماء الامصار في القيام بهذا العمل الجليل هم علماء البصرة والكوفة . وكان البصريون أشدّ احتياطاً . واكثر اشتراطاً . من اخوانهم الكوفيين فكانوا فوق الاستيثاق من فصاحة الأعراب وفصاحة قبائلهم يشترطون اخذ اللغة عن كثيرين : فاذا سمعوها من واحد اعتبروها شاذة . وهذا على عكس الكوفيين فانهم يشيدون القواعد على الشاهد الواحد . وكان البصريون يعيرونهم و يقولون لهم نحن نأخذ اللغة عن حَرَشة الضباب (صياديها) وأكلة اليرابيع (يعني سكان البوادي) وتأخذونها انتم عن أكلة الشوارز [1] والكوامخ (المخللات) .

قال ابو عكرمة الضبي يوماً للمبرد (وهو امام اهل البصرة في النحو) نحوك لا يساوي شيأ عند ابن قادم (وابن قادم من علماء الكوفة) قال المبرد فقلت له : ولما ذا ؟ قال لان ابن قادم يعرف شواهد في اللغة عجيبة لا تعرفها انت . قلت أنشدني منها . فجعل ينشدني ويضحك إعجاباً بما ينشد . فكان مما انشدني شعرٌ استشهد به على ان (الرُّزْ) لغة في (الرُّزّ) وهو قوله :

(قربا يا صاح رُزْزه واجعل الاصل أوزّه)
(واصفف القينات حقا ليس في القينات عزّه)

قال المبرد : فقلت له من يقول هذا الشعر : قال : يقوله بعض العرب المتحضّرة . قلت : بل بعض النَّبَط المتقذّرة . (والنبط جيل من الناس اصلهم عرب ثم استعجموا او عجم ثم استعربوا .

---

(١) الالبان المجمدة و يشبه ان تكون القشدة . و يعني باكلة الشوارز اولئك الأعراب الذين افسدت الحضارة سلائقهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و بالجملة فان البصريين كانوا أوثق من الكوفيين وأشدّ احتياطاً في ضبط اللغة وساعدهم على ذلك قرب مدينتهم من جزيرة العرب . وكانوا لا يأخذون عن فصيح من فصحاء الأعراب ما لم يمتحنوه كما نمتحن طلاب المدارس اليوم . ويجربوا صحة سليقته وسلامة عروبته : من ذلك ان (ابا عمرو بن العلاء) (احد اعلام اللغة العربية) استضعف (اباً خيرة) الاعرابي وارتاب في فصاحته . فامتحنه قائلاً : كيف تقول حفرت الإران ؟ قال : اقول (حفرت إراناً) فقال له ابو عمرو (لأنَ جلدُك يا ابا خيرة) يريد انه لم تبق فيه خشونة جلد اعراب البادية بل اصبح جلده ليناً ناعماً كجلود اهل الحضر ويكون قد صارت لغته مشوبة بالفساد مثل لغتهم .

اما غلطه فهو جمعه (إرة) على (إران) و (إرة) هي الحفرة وتجمع على (إرين) كعزة وعزين وعضة وعضين . وابو خيره قال في جمعها (إران) واخطأ لأن (إران[1]) لفظ مفرد معناه خشب النعش أو التابوت فالصواب ان يقول حفرت إرين .

وقال ابن جني سألت الشجري (وهو أعرابي من عقيل كانوا يرجعون اليه في كلمات اللغة) ومعه ابن عم له يدعى (غصناً) دونه في الفصاحة — قال : فقلت لهما كيف تصغران (حمراء) قالا (حميراء) قلت و (صهباء) قالا (صهيباء) قلت و (حمقاء) قالا (حميقاء) . وما زلت اسألهما هكذا الى ان دست في الاسئلة كلمة (عِلْباء) وهي عصب في العُنُق . فقال غصن . تصغير (علباء) (علبياء) وتبعه عمه (الشجري) فقال : (عُلَيْبَ) وفتح الباء وقبل ان يمدها ويأتي بالهمزة تراجع كالخائف المذعور ثم قال : (آه علبيٌ) .

أراد الشجري ان يقول اولاً (عُلبياء) بالمد على وزن (حميراء) ظناً ان الفها وهمزتها زائدتان ثم انتبه فجأة الى ان همزة (عِلباء) مقلوبة عن (ياء) . وليست زائدة فقال للحال (علبيٌ) . وهكذا فاز في الامتحان واستحق شهادة (دوكتور في اللغة) . اما ابن

---

(١) ومن العجيب ان كلمة (إران) العربية وجدت مرقومة على بعض التوابيت الحجرية الفنيقية بمعناها وبلفظها او بما يقرب من لفظها فهي اذاً فينيقية الاصل واللغة الفينيقية واللغة العربية كلتاهما سامية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اخيه غصن فسقط في الامتحان ٠

قال ابن جني وسألت (الشجري) هـذا يوماً كيف تجمع دكان قال (دكاكين) قلت و (سرحان) قال (سراحين) قلت و (عثمان) قال (عثمانون) قلت هلا قلت (عثامين) قال : ايش هذا (عثامين) ؟ أرأيت انساناً يتكلم بما ليس من لغته ! ! !

وقال ابن جني ايضاً : حدثني المتنبي شاعرنا وما عرفته الا صادقاً ٠ قال : كنت عند منصرفي من مصر في جماعة من الأعراب واحدهم يتحدث ٠ فذكر في كلامه فلاة واسعة ٠ فقال (يحير فيها الطرف) (بعني بالياء بعد الحاء حار يحير) فقال آخر من رفاقه الأعراب يلقنه سرًّا من الجماعة : (يحار يحار) اي بالالف بعد الحاء ٠

وشك الاصمعي في كلمة (استخذى) بمعنى خضع أهي مهموزة ام غير مهموزة ؟ قال : فقلت لأعرابي أنقول : (استخذيت) بالياء ام (استخذأت) بالهمزة ؟ فقال لا اقول هذه ولا هذه ٠ قلت ولما ذا ؟ قال لأن العرب لا تستخذى (اي لا تخضع) ٠

وسأل ثعلب (ابا الزوّاد) الاعرابي فقال له : ما تعاني في بلادك (اي ما هو عملك ؟) قال . الإبل ٠ قال : مامعنى قول العرب في صفة البعير : (نعم معلق[1] الشربة هذا) قال : أرادوا سرعته بحيث اذا كان مع راكبه شربة معلقة أجزأته حتى يصل الى الماء الآخر ٠ قال : أصبت ٠ فما معنى قولهم : (بعير كريم الا ان فيه شارب خَور) ٠ قال : الشارب هنا وجمعه شوارب بمعنى عروق مجاري الاكل والشرب في الحَلْق) ٠ والخَور الضعف ٠ يريدون ان البعير كريم غير ان في حلقه ضعفاً فهو لا يقدر ان يستوفي ما يأكله و يشربه ٠ فقال ثعلب اذ ذاك لعمري قد جمع ابو الزوّاد علماً وفصاحة فاكتبوا عنه واحفظوا قوله ٠

وقال الجوهري : سألت أعرابياً من بني تميم بنجد وهو يستقي من البئر ببكرة نخيس ٠ والنخيس هي البكرة التي يتسع ثقبها من استمرار دوران المحور فيها فيلقمون الثقب خشبة

(١) وفي كتب الأمثال ان المعلق القدح الذي يعلقه الراكب معه وقوله (هذا) اشارة اليه وان مافيه يكفي الشارب المسافر ريثما يصل الى منزله ٠ ثم اصبحت العبارة مثلاً يضرب لمن يكتفي برأيه في الامور ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ليضيق . وهذه الخشبة تسمى (نخاساً) . وتسمى البكرة اذ ذاك (نخيس) . قال الجوهري فوضعت اصبعي على (نخاس) البكرة وقلت للأعرابي : ما هـذا ؟ واردت ان اتعرّف منه ان (النخاس) بالخاء المعجمة او هو (نحـاس) بالحاء المهملة . فقال : هذا (نخاس) فقلت لا هو (نحـاس) بالحاء أليس الشاعر يقول : (وبكرةٍ نُحاسها نُحاس) فقال : ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين .

هكذا كان فضل هؤلاء الأعراب الفصحاء على اللغة العربية وضبط كلماتهـا وتفسير ما أبهم من اشعارها واخبارها وكان للقرآن العظيم نصيب من ذلك : فقد روي ان أعرابياً ظلمه اخوه فشكاه الى ابن عباس فقال :

(تخوّفني مالي أخٌ لي ظالم فلا تخذلنّ المال ياخير من بقي)

فقال له ابن عباس (تخوّفك) تعني تنقصك ؟ ؟ قال الاعرابي نعم هكذا قصدت . فقال ابن عباس الله اكبر هذا شاهد من قول العرب لقوله تعالى (او يأخذهم على تخوّف) اي يتنقص من خيارهم .

وقال ابوحاتم : قرأ عليّ أعرابي القرآن فلما وصل الى آية (طوبى لهم وحسنُ مآب) قرأها (طيبى لهم وحسنُ مآب) وكانت لغـة قومه كذلك . فقلت له قل (طوبى لهم) فقال (طيبى لهم) فعدت فعاد . فقلت له اخيراً وانا حَنِق قل طوبى (طوطو) فأجابني ببرود : (طِي طِي) فغلب عليّ الضحك وسكت .

الى هذا الحد كان فصحاء العرب يتعصبون للغتهم و يحرصون عليها و ينفرون من الذين يفسدونهـا . و يشوهون محاسنها : واعجب مثـال على ذلك الأعرابي الأسود والجاحظ .

قال الجاحظ : رأيت عبداً اسود لبني أسد قدم علينـا من اليمامة . فبعثوه ناطوراً في البساتين . وكان وحشياً لطول تغرّبه في اليمامة ورعي الإبل . فأصبح بعد ان صار ناطوراً لا يجتمع الا بالأكرَة وفلاحي النبط الفاسدي اللغة . فكان لا يفهم منهم ولا يفهمون منه . فلقيته يوماً فأنِس بي . وكيف لا يأنس بالجاحظ أفصح الفصحاء ؟ وكان مما قاله لي : اباعثمان (لعن الله بلاداً ليس فيها عرب) . أباعثمان ! ان هذه العرب في جميع النـاس كمقدار القرحة في جلد الفرس فلولا ان الله رقّ عليهم فجعلهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في حاشية من الارض لطمست هذه العجمان آثارهم . »

هذا ما قاله للجاحظ في القرن الثالث ذلك العبد الأعرابي المفرط في حب قومه العرب . وظاهر انه أراد بالعرب الذين رقّ لهم ربهم فخبأهم في حاشية الدنيا بمعزل عن الشعوب — عرب الجزيرة الذين ندعو الله ان يحفظ لغتهم فتبقى سالمة من العجمة تحقيقاً لظن ذلك الأعرابي الاسود الصادق الوطنية المتمسك أشد تمسك باهداب القومية .

وفصحاء الأعراب الموثوق بهم وبعروبتهم هم البعيدون عن مجامع الأسواق . ومثابات الأعاجم . واشهرهم في ذلك فصحاء تميم وقيس وأسد وسعد بن بكر .

قال ابو عمرو بن العلاء : لقيت أعرابياً بمكة . فقلت له ممن انت ؟ قال من بني أسد . قلت ومن اي البلاد ؟ قال من عُمان . قلتُ فأنى لك هذه الفصاحة ؟ قال إنا سكنا قطراً لانسمع فيه نازِخَةَ التيار « يعني صوت أمواج البحر وقت اشتداد العواصف » اي انهم لا يسكنون السواحل حيث يتردد التجار والطرّاء من الأعاجم فتفسد لغتهم .

اما البلاد التي كثر فيها هؤلاء الطرّاء فقد فسد لسان اهلها الى الحد الذي ذكره ابو زيد الانصاري (المتوفى سنة ٢١٥ هـ) فقد قال . قلت لبعض الكتاب : مافعل ابوك بحماره ؟ قال باعِه ؟ قلت ما حملك على ان تقول (باعِه) قال : وانت ما حملك على ان تقول (بحماره) قلت حملني على ذلك باء الجر الداخلة على حماره . قال ومن الذي جعل باءك تجر و بائي لا تجر ! ! !

وكان علماء العربية اذا اختلفوا فيما بينهم من اجل كلمة غريبة تحاكموا الى (فصحاء الاعراب) الذين يفدون على الأمصار : قال بعضهم لقيني (ابو محلم) ومعه أعرابي فقال جئتكم بهذا الأعرابي لتعرفوا منه كذب الأصمعي : أليس كان يقول في بيت عنترة في ناقته :

(شربتْ بماء الدُحرُضَيْن فأصبحت زوراءَ تنفر من حياض الديلم)

فهو يزعم ان المراد بالديلم الاعداء لانهم أعاجم والعرب كانوا يعدون جميع الأعاجم اعداءهم . فسلوا هذا الأعرابي ما معنى الديلم ؟ فسألناه فقال : (الديلم) حياض بالغور أوردتها ابلي غير مرة . لكن القاموس فسّر الديلم بالامرين معاً : بالأعداء وبماء لبني عبس قوم عنترة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وادعى الأصمعي ايضاً : انه يقال (أبرقت السماء وأرعدت) بالهمز اما في التهديد فيقال : (بَرَق زيد ورَعَد) ثلاثياً من دون همز . وخالفه ابو زيد وابو حاتم وقالا : يقال في التهديد رَعَد وبَرَق وأرعد وأبرق . وبينما هم كذلك اذ وقف عليهم أعرابي محرم بالحج . فقال له ابو زيد يا أعرابي : كيف تقول (رعدت السماء و برقت) ام (أرعدت وأبرقت) ؟ فقال اقول (رعدت و برقت) فقال له : وكيف تقول للرجل . فقال الأعرابي : أمن الجخيف تريد ؟ يعني أمن التهديد ؟ قال نعم . قال (رَعَد وبَرَق وارعد وأبرق) فحكم الأعرابي لابي زيد وابي حاتم .

وأشهر المحاكمات الى فصحاء الأعراب الرجوع اليهم في المسألة التي اختلف فيها الكسائي الكوفي وسيبويه البصري في مجلس هرون الرشيد وهي (كنت أظن ان العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو هو او إياها) فقال الرشيد . اختلفتما وانتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما فقال الكسائي : هؤلاء الأعراب ببابك اسألهم . فأدخلوهم فاذا هم اربعة (ابو فقعس) و (ابو دثار) و (ابو الجراح) و (ابو ثروان) ولما سألوهم وافقوا الكسائي : لانه فيما يقال رشاهم والصحيح انهم عرفوا منزلة الكسائي من الرشيد وانه يعلم ولده فحكموا له . فالخُبث منهم لا من الكسائي . ويقال ان سيبويه قال للرشيد: انهم وافقوا الكسائي من دون ان يتكلموا بالجملة المختلف فيها ولو امرتهم ان ينطقوا بها لما طاوعتهم ألسنتهم ولا سلائقهم .

ولنذكر لكم ايها السادة أمثلة من رحلة علماء اللغة الى فصحاء الأعراب في طلب غريب اللغة . قال الأصمعي : كنت أغشى بيوت الأعراب . اكتب عنهم كثيراً . حتى ألفوني وعرفوا مرادي . فأنا يوماً مارٌّ بعذار (موضع بالبصرة) . قالت لي امرأة : يا ابا سعيد إئت ذلك الشيخ فان عنده حديثاً حسناً فاكتبه ان شئت . قلت أحسن الله إرشادك . فأتيت شيخاً هِمّاً فسلمت عليه . فردّ عليّ السلام وقال من انت ؟ قلت انا عبد الملك ابن قريب الأصمعي قال : ذو (اي الذي وكان الشيخ من قبيلة طي) يتتبع الأعراب فيكتب الفاظهم ؟ قلت نعم وقد بلغني ان عندك حديثاً حسناً معجباً رائعاً . وأخبرني اولاً باسمك ونسبك . قال نعم : انا حُذيفة ابن سُوَر العجلاني . ولد لأبي سبع بنات متواليات وحملت أمي . فقلق ابي قلقاً كاد يفلق حبة قلبه من خوف بنت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثامنة . فقال له شيخ من الحيّ : ألا استغثت بمن خلقهن أن يكفيك مؤونتهن . قال : لا جرم لا أدعوه الا في أحب البقاع اليه فانه كريم لا يضيع قصد قاصديه . ولا يخيب آمال آمليه . فأتى البيت الحرام وقال :

(يا ربّ حسبي من بنات حسبي شبّ بن رأمي وأكلن كسبي)
(ان زدنني أخرى خلعت قلبي وزدنني هما يدقّ صُلبي)

فاذا بهاتف يقول :

(لا تقنطنّ غُشيت يا ابن سور بذكَرٍ من خيرة الذكور)
(ليس بمثمود[1] ولا منزور[2] محمد من فعله مشكور)
(موجّهٍ في قومه مذكور)

فرجع ابي واثقاً بالله جل جلاله . فوضعتني أمي فنشأت أحسن ما نشأ غلام . عفةً وكرما . وبلغت مبلغ الرجال . وقمت بامر أخواتي وزوّجتهن وكنّ عوانس . ثم قضى الله تعالى ان سترتهن ووالدتي . ثم منّ الله عليّ ان اعطاني فأوسع واكثر وله الحمد وولدت رجالاً كثيراً ونساءً . وان بين يديّ اليوم من ظهري ثمانين رجلاً وامرأة .

واجمل من هذه ما حدث به الاصمعي ايضاً قال : سهدت ليلةً من الليالي بالبادية وكنت نازلاً عند رجل من بني الصيداء من اهل القصيم فأصبحت وقد عزمت على الرجوع الى العراق . فأتيت ابا مثواي (اي صاحب البيت النازل فيه) فقلت له : اني قد هلمتُ من الغربة واشتقت اهلي ولم أُفد في قدمتي هذه عليكم كبير علم . وانما كنت اغتفر وحشة الغربة وجفاء البادية للفائدة فأين الفائدة ؟ فأظهر المضيّف توجعاً ثم ابرز غداءً فتغدّيت معه وامر بناقة له مَهْرِية فارتحلها واكتفلها (جعل عليها كِفلاً والكِفل مايحفظ الراكب من خلفه) ثم ركب واردفني وأقبلنا (اي استقبلنا) مطلع الشمس فما سرنا كبير مسير حتى لقينا شيخ على حمار . وهو يترنم . فسلم عليه صاحبي وسأله عن نسبه : فاعتزى أسدياً من بني ثعلبة . فقال أتنشد (اي لغيرك) ام تقول (اي من نظمك) ؟ فقال كُلاًّ

(١) رجل مثمود كثر عليه السؤال حتى انفدوا ماعنده . اي انه بقي غنياً كثير المال .
(٢) المنزور الذي يُلَحّ عليه فيعطي . فهذا يعطي من دون الحاح اي سخي جواد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقلت اين نؤم ؟ فأشار بيده الى ماء قريب من الموضع الذي نحن فيه . فأناخ الشيخ وقال لي صاحبي خذ بيد عمك فأنزله عن حماره . ففعلت . فألقى له كساء يجلس عليه . ثم قال : انشدنا يرحمك الله . وتصدّق على هذا الغريب بابيات يعهنّ عنك ويذكرك بهن . فقال : إي ها الله ذا . ثم أنشدني :

(تعزّ فان الصبر بالحر أجمل ... وليس على ريب الزمان معول)
(فلو كان يغني ان يُرى المرء جازعاً ... لنازلةٍ او كان يغني التذلل)
(لكان التعزي عند كل مصيبةٍ ... ونازلةٍ بالحر اولى وأجمل)
(فكيف وكلٌ ليس يعدو حِمامه ... وما لامرئٍ عما قضى الله مزحل)
(فان تكن الايام فينا تبدلت ... ببُؤسى ونُعمى والحوادث تفعل)
(فما لينت منا قناةً صليبةً ... ولا ذللتنا للتي ليس تجمل)
(ولكن رحلناها نفوساً كريمةً ... تُحمّل ما لا تستطاع فتحمل)
(وقينا بعزم الصبر منا نفوسنا ... فصحت لنا الاعراض والناس هزّل)

قال الأصمعي فقمت والله وقد أُنسيت اهلي وهان عليّ طول الغربة وشظف العيش . سروراً بما سمعت . ثم قال لي الشيخ يابنيّ : من لم تكن استفادة الادب أحبّ اليه من الاهل والمال لم ينجب . والابيات التي تمثل بها الأعرابي ذكرها ابوتمام في حماسته ونسبها الى ابراهيم بن كُنيف النبهاني .

وحكت عَريب[1] المغنية المشهورة في زمن بني العباس (توفيت سنة ٢٧٧ هـ) قالت كنت في طريقي الى الحج اطلب الأعراب ، أستنشدهم الأشعار واكتب عنهم النوادر فوقف عليّ شيخ أعرابيٌ يسأل صدقةً فاستنشدته فأنشدني :

(ياعزُّ هل لك في شيخ فتى أبدا ... وقد يكون شباب غير فتيان)

قالت فاستحسنت البيت والله ولم اكن سمعته وقلت للاعرابي انشدني مابعد هذا البيت قال هو يتيم . فاستحسنت قوله واحسنت اليه . وحفظت البيت . وغنيت به .

---

(١) عريب على وزن عظيم وليس هو مصغراً لانه ورد اسمها قافية في بعض القصائد والقافية مبنية على اربب مَريب مصيب عريب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال الأصمعي : انشدني (عشرمة المحاربية) وهي عجوز حيزبون من بني محارب وكانت زَوْلة (داهية فطنة ظريفة) قالت :

(وما لبس العشاق من حلل الهوى ولا خلعوا الا الثياب التي أُبلي)
(ولا شربوا كأساً من الحب مرة ولا حلوة الا شرابهمو فضلي)
(جريت مع العشاق في حلبة الهوى ففتهمو سبقاً وجئت على رسلي)

هذا ماقالته الأعرابية العجوز من بني محارب في الغزل اما الأعرابية الفتاة من بني سعد ابن بكر فانها قالت قولاً أعجب وأطرب :

(ايا أخويّ الملزميّ ملامةً أعيذكما بالله من مثل مابيا)
(سألتكما بالله الا جعلتما مكان الاذى واللوم ان تأوياليا)
(أيا أمتا حب الهلاليّ قاتلي شطون النوى يحتلّ عُرضاً يمانيا)
(اشم كغصن البان جعد[1] مرجل شغفتُ به لو كان شيئاً مدانيا)
(فان لم أوسّد ساعدي بعد هجعةٍ غلاماً هلالياً فشلت بنانيا)
(ثكلتُ ابي ان كنت ذقت كريقه سلافاً ولا ماء الغمامة غاديا)

وهذا الشعر هو نهاية في حسن الخيال ، ودقة التصور ، وبديع الوصف ، فالأعراب مهما عيبوا بالخشونة والغلظة فان خشونتهم وغلظتهم لم تفسد عليهم حسن تصورهم ، ودقة وصفهم ، وصفاء اذهانهم ، قال ابن فارس سمعت أبي يقول : سئل أعرابي ما القلم ؟ قال لا أدري ، فقيل له توهمه ، ففكر ثم قال : هو عود قُلِم من جانبيه كتقليم الأظفور فسمي قلماً .

ومن تصورات الاعراب الغريبة ماروواه بعضهم عن أعرابية من بني نمير ، سئلت ما بالكن ايتها النميريات رُسْحاً (اي لاأكفال لكن) ؟ فقالت : أرسحتنا نار الزحفتين وفي هذا المعنى قال شاعرهم :

(وسوداء المعاصم لم يغادر لها كَفَلاً صلاء الزحفتين)

ومعنى ذلك ان نساء الأعراب يقعدن في ليالي الشتاء حول النار التي يوقدنها بهشيم

(١) اي كريم ويكون بمعنى لئيم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نبات العرفج . فاذا علا لهبها ونفشى هكذا وهكذا رجع النساء الى الوراء زحفاً على اكفالهن ثم يخمد اللهب فيقبلن على النار زحفاً ايضاً ثم يضمن الهشيم فيرتفع اللهب فيزحفن الى الوراء ثم الى الامام دواليك . ثم على تمادي الايام وتكرر الزحف حول نار العرفج تصبح النميريات رُسحاً لا أكفال لهن و يورثن الرَسَح لاولادهن .

فهل سمعتم أيها الافاضل اغرب من هذا التصور وهل يقبل الشعراء ياترى هذا الاعتذار من النميريات عن رسحهن ؟

ومما يروى من ذكاء الاعرابيات ان اعرابية خطبت لابنها . وكان بعدُ حدثاً . فأحبت أم العروس أن تراه فزارتهم وبيناهي في الخباء تكلم أم الغلام دخل الغلام وقال ياأماه (أدوّي ؟) اي أتسمحين لي ان اعمد الى علبة اللبن فانزع عن وجهه الدِواية (وهي قشطته) فآكلها ؟

هكذا أراد الغلام لكن أمه خجلت ان يقول ذلك امام ام العروس فيصغر في عينها . فبادرته قائلةً (اللجام معلق بعمود البيت) فبقولها هذا اوهمت أم العروس ان ابنها انما أراد بقوله (ادوّي) أتسمحين لي ان اذهب الى الدوية وهي البيداء التي تدوي بالرياح فأطارد على ظهر الخيل واصطاد الوحش . فهو إذن بطل من الابطال . جدير بالعروس ذات الحسن والدلال .

وللاعراب أكاذيب احصاها عليهم علماء العربية . ولكن هناك كذبة لا اعلم كيف مشت على الاصمعي . فقد قال سمعت اعرابياً يقول (عطس فلان فخرج من انفه جلملعة) فسألته ما (جلملعة) ؟ قال : هي خنفساء نصفها حيوان ونصفها طين . قال الاصمعي فلا انسى فرحي بهذه الفائدة . ولا يخفى ان هذه كذبة مزدوجة لان الخنفساء لا تنزل من الانف . وهب انها نزلت لايكون نصفها طيناً ! ! وقد يقال ان الاصمعي لايجهل ذلك لكنه فرح بالكلمة من حيث دلالتها على مزاعم الاعراب واكاذيبهم .

ولئن روى الاصمعي عن الاعراب كذبة الجلملعة . فطالما روى عنهم كلمات بنور التقوى مشمشة . قال الاصمعي سمعت اعرابياً يقول وهو متعلق باستار الكعبة . رب أتراك معذبي . وتوحيدك في قلبي . وما إخالك تفعل . ولئن فعلتَ . وأدخلتني النار تكون قد جمعتني فيها مع قوم طالما أبغضتُهم من أجلك ! !

ومثل هذه الكلمة ماقاله أعرابي آخر وقد مرض فقيل له انك تموت . قال واذا متُّ فإلى اين يُذهب بي ؟ قالوا الى الله . قال فما كراهتي ان يُذهب بي الى من لم أر الخير الا منه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقيل لاعرابي آخر يسوق أمامه غنماً : لمن هذه الشياه ياأعرابي؟ قال لله في بدي !!

ووصف أعرابي رجلاً ثرثاراً لا يسكت فقال : ان حدثته بحديث سابقك اليه . وان سكتّ عنه أخذ في الترهات (اي الأباطيل) .

وقال رجل من عمال الدولة لاعرابي ما أحسبك تعرف كم تصلي في كل يوم وليلة ؟ فقال له فان عرفت واجبتك بالصواب أتأذن لي ان اسألك مسألة واحدة قال نعم : قال مبتدئاً من صلاة الظهر .

(ان الصلاة اربع واربع ثم ثلاث بعدهن اربع)
(ثم صلاة الفجر لا تضيع)

قال العامل صدقت . هات مسألتك . قال الاعرابي : كم فقار ظهرك قال لاادري . قال أفتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك؟ فيظهر ان هذا الاعرابي يقترح على الحكومة ان تمتحن عمالها في فن التشريح .

واختصم اعرابيان الى بعض الولاة في دَين لاحدهما على صاحبه فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق . فلما اكثر قال له المدعي دعني من هذه الأيمان التي لها تأويلات واحلف بما اقول « لا ترك الله لك خفّاً (يعني الجمال) يتبع خفّاً . ولا ظلفاً (البقر والغنم) يتبع ظلفاً . وحتّك من اهلك ومالك حتّ الورق من الشجر إن لم يكن لي عليك هذا الحق » . فأعطاه حقه ولم يحلف له .

وروى العتبي الشاعر قال : أضل قوم الطريق فاستأجروا اعرابياً ليدلهم على الطريق فقال لهم :

— اني والله لا اخرج معكم حتى اشرط لكم واشرط عليكم .

— فهات مالك .

— يدي مع ايديكم في الحارّ والقارّ ولي موضعي من النار موسع عليّ فيه . وذكر والدي عليكم محرّم .

— فهذا لك . فما لنا عليك إن اذنبت ؟

— إعراضة لا تؤدي الى تعب وعتب . وهجرة لا تمنع من مجاملة السفرة .

— فان لم تُعتب [اي ترضنا بعد ان نكون أعرضنا عنك وهجرناك] .

— فحذفة بالعصا أخطأت ام اصابت .

وهذا الحديث لا يعرف قدره ولطافة ما اشترطه الاعرابي فيه الا الذين سافروا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في البادية واجتازوا مفاوزها وذاقوا لذة الجلوس حول النار في ليالي شتائها .

هذا واخبار (فصحاء الاعراب) ايها السادة كثيرة . ونوادرهم مستملحة عجيبة . حتى قال الجاحظ (انا استظرف امرين استظرافاً شديداً : احدهما استماع حديث الاعراب . والامر الآخر احتجاج متنازعين في الكلام (علم العقائد) وهما لا يحسنان منه شيأ . فان هذين الامرين يثيران من غريب الفكاهة ما يضحك كل ثكلان وان تشدد . وكل غضبان وان احرقه لهيب الغضب اه) .

واراكم ايها السادة قد مللتم فلنختم اخبار الأعراب بهذا الخبر الظريف .

كان (أبان) ابن عثمان رضي الله عنه من أهزل الناس وأعبثهم و بلغ من عبثه انه كان يجيء بالليل الى منزل رجل في اعلا المدينة له لقب يغضب منه فينادي يا فلان انا أبان بن عثمان ثم يعبث به ويلقبه بلقبه الذي يكرهه فيشتمه الرجل أقبح شتم . و (أبان) يضحك . قال راوي الخبر فبينا نحن ذات يوم في مجلس أبان وعنده اشعب المزّاح المشهور اذ اقبل اعرابي . ومعه جمل . والاعرابي اشقر ازرق ازعر (شرس الاخلاق) غضوب . يتلظى كأنه افعى . و يتبين الشرّ في وجهه ما يدنو منه احد الا شتمه ونهره . فقال اشعب لأبان هذا والله من البادية . أدعه أدعه فأسرعوا اليه وقالوا له . ان الامير (ابان) بن عثمان يدعوك . فأتى فسلّم عليه . فسأله ابانٌ عن نسبه . فانتسب له . فقال ابان حياك الله ياخالي (اوهمه أبان بذلك أن أمه من قبيلة الاعرابي او لعلها من قبيلته بالفعل) . حبيب ازداد حبّاً . فجلس فقال له ابان : اني في طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان . فلم اجد كما اشتهي بهذه الصفة وهذه الهامة واللون والصدر والاوراك والاخفاف . فالحمد لله الذي جعل ظفري به عند من احبه . أتبيعه ياخال ؟ قال نعم ايها الامير . فقال فاني قد بذلت لك به مئة دينار (وكان الجمل يساوي عشرة دنانير) فطمع الاعرابي وسُرّ وانتفخ وبان الطمع في وجهه . فأقبل أبان على اشعب ثم قال له ويلك يا اشعب ان خالي هذا من اهلك واقاربك (يعني انه مثله في الطمع لان اشعب مشهور بذلك) فأوسع له مما عندك . فقال له نعم بابي انت وزيادة فقال له (ابان) يا خالي انما زدتك في الثمن على بصيرة وانما الجمل يساوي ستين ديناراً . ولكني بذلت لك مئة لقلة النقد في بلدنا اليوم . وإني أعطيك به عروضاً (امتعة) تساوي مئة دينار . فزاد طمع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاعرابي . وقال قد قبلت ذلك ايها الامير . فأمرَ ابان الى اشعب . فأخرج شيئاً مغطى . فقال له الامير : اخرج ما جئت به يا اشعب . فأخرج جرد عمامة خزٍ خَلَقٍ تساوي اربعة دراهم . فقال الامير قوّمها ياشعب . فقال رافعاً صوته : عِمامة الامير تُعرف به . و يشهد بها الأعياد والجمع ويلقي بها الخلفاء — خمسون ديناراً . فقال الامير ضعها بين يدي الاعرابي . والتفت الى كاتبه (ابن زَبَنَّج) فقال : أثبت قيمتها في جريدة خاصة فقيّدها ووُضعت العمامة بين يدي الاعرابي . فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً . ولم يقدر على الكلام .

ثم قال الامير : هات قلنسوتي . فأخرج اشعب قلنسوة طويلة خَلَقة قد علاها الوسخ والدهن . وتخرّقت . تساوي نصف درهم . فقال الامير لأشعب قوّم . فقال : قلنسوة الامير تعلو هامته . و يصلي بها الصلوات الخمس . و يجلس للحكم بها بين الناس ثلاثون ديناراً . فالتفت ابان لكاتبه ابن زبنج وقال أثبت فأثبت القيمة . ووُضعت القلنسوة بين يدي الأعرابي . فتربد وجهه وجحظت عيناه . وهمّ بالوثوب ثم تماسك وهو منقلقل في مكانه . ثم قال الامير لأشعب هات ما عندك . فأخرج خفين خَلَقين قد نَقِبا وتقشّرا وتفتقا . فقال له الامير قوّم . فقال اشعب : خُفُّ الامير يطأ بهما الروضة المطهّرة و يعلو بهما منبر النبي صلى الله عليه وسلم — اربعون ديناراً . فقال الامير ضعهما بين يدي الأعرابي فوضعهما . ثم قال للاعرابي : أضمم اليك متاعك . وقال لبعض الخدم اذهب فخذ الجمل وقال لآخر امضِ مع الاعرابي فاقبض منه ما بقي لنا عليه من ثمن الأمتعة وهو عشرون ديناراً . فوثب الأعرابي فأخذ الامتعة وضرب بها وجوه القوم لا يألو في شدّة الرمي بها . ثم قال لأبان : أتدري أصلحك الله من اي شيء أموت ؟ قال لا . قال اموت لاني لم ادرك اباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولد مثلك . ثم نهض مثل المجنون حتى أخذ برأس بعيره فسار به وهو يدمدم . وضحك أبان حتى سقط . وضحك كل من كان معه .

ثم كان الاعرابي بعد ذلك اذا لقي أشعب يقول له هلمّ الليّ يا ابن الخبيثة حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قوّمته . فيهرب أشعب منه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net